الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (1+2+3)

# المحاضرة الرابعة عشرة:

# السمات المشتركة للرواية المغاربية

إن الرواية المغاربية قد تخلت هي الأخرى عن قواعد السرد التقليدية وانتهجت حساسية فنية جديدة ومغايرة لما كان مألوفا فقامت بفتح آفاق أكثر قدرة على استيعاب الواقع والتعبير عنه، وهذا ما مكنها من إحداث نقلة جديدة في البنية الفنية فقد انخرط جل كتاب الرواية المغاربية في غمار التجريب غير أنه لم يقتصر على تجاوز السائد من الخطابات بدل استنساخها وهو في ذلك يتطلع إلى اكتساب الخصوصية وإنتاج معرفة أكثر إدراكا للتحولات المتأزمة لواقعها، في الأغلب وهو ما يجعل السؤال الإبداعي متجددا بما يشكله من مفاهيم في البحث، ويبنيه من طرائق في التفكير.

ومن بين الذين استجابوا لتقنيات الرواية الحديثة في تونس "عبد القادر بن الشيخ" في نص تصيبي في الأفق 1970م وفرج الحوار" في النص النفير والقيامة" 1985م حيث نجد أن هذه الأعمال اتسمت بروح الإبداع والتجاوز عن طريق الدخول في مغامرة البحث والتجريب وأشكال جديدة في التعبير.

ويعد التونسي "محمود المسعدي" في الرواية "حدث أبو هريرة قال" نقطة انطلاق التجريب في الكتابة الروائية المغاربية والعربية على حد سواء من خلال استثمار عناصر من التراث السردي القديم متمثلة في الحديث والرحلة.

أما الروائي الذي مارس الكتابة التجريبية الحديثة بإجماع النقاد على ذلك "إبراهيم الدرغوثي" الذي استطاع عبر مسيرته الإبداعية أن يمارس كتابة تحديثية تجريبية ذات خصائص متعددة منها الجمع بين الواقع المعيش والأسطوري والعجيب والمجاورة بين الأزمنة على نحو يفاجئ ويربك، فالغوص في أعماق النصوص الروائية والقصصية نجدها قد نهلت من منابع فكرية وتراثية عدة بين توظيفه للقرآن الكريم والتوراة وألف ليلة وليلة والحضارة الإسلامية في القرن 4 هـ الرابع الهجري، وهذا التوظيف نجده في روايته الموسومة ب "الدراويش يعودون إلى المنفى"، وهذا التداخل هو ما جعل رواية "الدراويش" نص متعدد الصور والأشكال من حيث البناء أما الاتجاه الثاني الذي سلكته الرواية التجريبية فقد قامت على المغامرة الشكلية واللغوية، حيث أدرك أصحابها أن التجريب الروائي لا يعد جوهرا بل يكون لعبة شكلية ولغوية.

وفي مقابل الرواية التونسية التي كانت تنمو بخطى متثاقلة كانت الرواية المغربية، فالمغرب الأقصى هي الأخرى تواكب العصر وتسعى إلى تشكيل مرحلة جديدة في الكتابة الروائية تتسم بالتجريب وبحثا عن كتابة مغايرة وحديثة وذلك بتجريب طرائق جديدة في الكتابة تتجاوز الشكل الواقعي وتكسر بنية الزمن وتستثمر التراث ويعد "عز الدين التازي" و"الميلودي شغموم" و" بن سالم حميش" و"محمد

برادة" وغيرهم ممن راهن على مستقبل الكتابة الروائية في المغرب بإبداعاتهم حيث جربوا أساليب سردية متنوعة نقلت الرواية المغربية من التسجيل العفوي المعطيات العقل الإنساني في أبعاده الاجتماعية والفردية إلى محاولة تأسيس رؤى فنية تعتمد أساليب سردية جديدة تمنح مضامينها من فهم إشكالي الحقائق الوجود الإنساني، كما يتجسد في بنايات مجتمع له أساليبه الخاصة في صياغة مضامينه وفي تحديد أنماط توزيعها على أشكال سلوكية متنوعة فقد جاء في تجريب المغرب متنوعا ومتعدد المواقف حاله حال المجتمع المغربي مما دفع بالنقاد "محمد منصور" بالتفريق بين المفاهيم التي بها التجريب، فقد عرفه بمفهومه التقليدي ثم مفهومه الايديولوجي فمفهومه السوسيولوجي ثم مفهومه الفني إن التجريب في الفن بصفة عامة وفي المسرح بصفة خاصة عبارة عن اقتراحات في مجالات الإبداع المختلفة اقتراحات يقصد بها حلقة ما هو سائد من أجل فتح آفاق جديدة.

لقد فتح التجريب للكتابة الروائية أبواب التجاوز والمغامرة من خلال كوكبة من الكتاب فرواية زمن "بين الولادة والحلم" "لأحمد لمديني" قد عدها النقاد الانطلاقة الأولى لمسارات التجريب في المغرب فيقول: تجيب العوفي أرى مغامرة "أحمد لمدينيط في روايته "زمن بين الولادة والحلم" بالغة التطرف والتحرر حيث استهتر بقواعد اللعبة الروائية مطلقا، ومزق العلاقات بين الرواية والشعر والقصة فجاءت خلطة فنية يصعب تحديد انتمائها وتوالت بعدها بعض الإبداعات لروائيين منهم "عبد الله العروي" في روايته "أوراق" و"الميلودي شغموم في روايته "عين الفرس" واستطاعت هذه النماذج تحقيق استقلاليتها والتخلص من أسر الأبنية الخطابية التقليدية وقدسيات الخطاب التقليدي وتجاوز محليته الضيقة، فظهرت إبداعات روائية تفوق عديد الإبداعات الفردية في جنس الرواية.

إذ يرى بعض النقاد أن النص الإشكالي في مغامرته المبكرة ومثل هذه النصوص الجزئية هي التي خلقت قناعة لدى الروائيين المغاربة بأن استقلالية الرواية المغاربية يجب أن تتم من خلال تجاوز نموذج الرواية الواقعية وهو ما دفعهم في غمرة التجريب عن المنقطع والبحث المتواصل عن أشكال جديدة وطرائق غير مطروحة، مما جعل التجريب يصير عنوانا لمرحلة بكاملها من عمر الرواية المغاربية ابتدأت مع مطلع السبعينات ولم تنته بعد.

غير أن التجريب بلغ أوجه في فترة الثمانينات ومنه يمكن القول بأن عشرية الثمانينات هي حقل التجريب بامتياز ذلك التجريب الواعي الذي استحدث آليات الكتابة الروائية وفق استراتيجيات جديدة ظهرت في أعمال روائيي الثمانينات منهم "وردة للوقت المغربي" 1982م "لأحمد المديني"، "الأبله

والمنسية وياسمين" 1982 "للميلودي شغموم"، بدر زمانه" 1983م "لمبارك ربيع" "رحيل البحر 1983م" "لمحمد عز الدين التازي" لعبة النسيان" 1983م "لمحمد برادة"...الخ

فمع هذه النخبة من الروائيين المتميزين ستنتقل الرواية إلى مرحلة البحث عن إمكانيات جديدة في مستويات التقنية والرؤية وهو بحث معرفي وفني وإيديولوجي يستهدف الخلخلة وتجاوز القواعد السائدة المترسبة عن التقاليد وقيم الثقافة التقليدية.

أما في الجزائر فقد أجمعت الكثير من الدراسات النقدية على أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية جاءت وليدة فترة السبعينات، فقد شهد المجتمع الجزائري العديد من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية والتي كان لها بالغ الأثر على الساحة الأدبية بما في ذلك الرواية، إذ يمكن اعتبارها انعكاسا لهذا الواقع وهو ما يؤيده "عبد المالك مرتاض" يقول: أن الرواية العربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أثبتته التحولات بكل تناقضاتها.

حيث أخذت الرواية الجزائرية في نظرتها إلى الواقع عدة موضوعات أهمها واقع الثورة والزراعة، وواقع الكفاح المسلح، وواقع النقد الذاتي والفساد الإداري فشهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق من الانجازات المختلفة في شتى الميادين، فكانت الرواية تجسد ذلك كله، ونعد جزءا بسيطا للأعمال الروائية التي كتبت في هذه الفترة والتي تبرز بشكل واضح ومن بينها: "نار ونور"، "دموع الخنازير" "لعبد المالك مرتاض" و"اللاز"، "الحوات" و"القصر "العشق والموت" في "زمن الحراشي" لطاهر وطار" وطيور الظهيرة" "لمرزاق بقطاش" و"ريح الجنوب" و"نهاية الأمس" "بان الصبح" "لعبد الحميد بن هدوقة".

وغيرها من الروايات الأخرى التي كانت النتاج الفني والطبيعي لهذه الفترة التاريخية والتي اتسمت بالشجاعة في الطرح والمغامرة الفنية وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد فمن المعلوم أن البداية الفعلية والحق للرواية الجزائرية كانت مع "ريح الجنوب" "للكاتب عبد الحميد بن هدوقة عام 1971م"، ذلك أنها شهدت قفزة حقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر فبالرغم من التوجه الواقعي لصاحبها وهيمنة ثقافته التقليدية إلا أنها تعكس نزعة تجريبية باحثة عن أشكال تعبيرية جديدة في ممارسته الروائية حيث عبر عنها "بن هدوقة" بقوله: ككاتب أحاول أن أوظف كل ما أعرف السينما التمثيل الأدب في الرواية، ويكون هذا التوظيف حاملا لعدة مضامين ومستويات.

من خلال هذا التصريح تستطيع القول أن بن هدوقة حاول أن يخلص الرواية الجزائرية من بنائها التقليدي الساذج إلى عالم آخر لا يخضع في بنيته إلى نظام مسبق ولا إلى منطق كما كانت تحتكم إليه الروايات التقليدية السابقة دون اللجوء إلى أسلوب التغريب والانتماء والمحافظة على الأصل دون إهمال الفرع وهذا ما يحيل إلى أن "ابن هدوقة" اعتمد أسلوب التجريب الذي يقترن بالتأصيل حيث يقول: ينبغي أن نحافظ على الأصالة ونحترمها وهي مميز مهم لإبداعاتنا في التقنيات المستعملة.

بغض النظر عن الموضوع الذي طرحته رواية "المرأة والأرض" إلا أنها وظفت التجريب لكن بصفة محتشمة غير جريئة من ذلك الاشتغال المكثف للحوار بين الرجل والمرأة والمجتمع، واستثمار عناصر الخيال الإسلامي: النار، الجنة، النشر، البرزخ، القبر، واعتماد الكاتب تقنيات التذكر من خلال العودة إلى تاريخ الثورة الجزائرية، زمن التحرير، بالإضافة إلى استعانته بالتناص وذلك من خلال استثمار لقصيدة البردة للبويصري.

لقد استطاع في هذه الرواية بقدرة فنية أن يتحكم ويحسن استغلال أدواته الفنية والتي تسهم في تأكيد الصلة القائمة بين الشكل والمضمون وتعمل على تأصيل تجربة الكاتب الإبداعية بالارتباط بواقعه حتى على الصعيد الجمالي.

كذلك من مظاهر التجريب في هذه الرواية هو ترك النهاية مفتوحة لإشراك القارئ في إنتاج نهايتها، أما روايته الثانية "نهاية الأمس" والتي كتبها سنة 1975م هي الأخرى تراوحت بين التقليد والحداثة وذلك ما وظفه من سارد علم بالإضافة إلى استثماره للعديد من التقنيات السردية كسابقاتها ريح الجنوب الحوار، التذكر، تداخل الخطاب، الشعر، الدين... فالأعمال الروائية التي ظهرت في فترت السبعينات هي أعمال تأسيسية للرواية الجزائرية إلا أنه يمكن للدارس أو الباحث أن يعثر على أعمال قد تكون في مصاف الجانب التأسيس كما أنه يمكن اعتبارها تأصيلا للرواية الجزائرية فعلى سبيل المثال رواية "اللاز" و "الزلزال" "للطاهر وطار".

اتفق معظم الدارسين والنقاد في مجال الرواية الجزائرية أن رواية "اللاز" تعتبر رواية رائدة خطت أولى خطوات التأصيل الحقيقي للنهوض بالخطاب الروائي الجزائري.

حيث سعى من خلال عمله إلى تحقيق وبلوغ أفق حداثي في الكتابة الروائية الجزائرية لأنه وكما يقول الناقد المغربي سعيد يقطين عن الحداثة السردية: الرواية فن أدبي حديث وحداثة الرواية تكمن في

سرديتها وبسبب تعالق الحداثة والسردية لا يمكن الحديث عن السردية التقليدية في الرواية والسردية الحديثة لأننا عندما نحتكم إلى البعد السردي تضيق فسحة الحداثة، لأنها مفهوم مكتسب.

فالحداثة السردية عند الطاهر وطار اختراق ثوابت السائد السردي والسعي باستمرار إلى خلخلة قواعده فهو يرى أن التجريب يرفض السكون إلى شكل فني محدد كي لا يسقط في التقليد.

ويرى الكاتب الناقد التونسي بوشوشة بن جمعة أن فترة السبعينات فيها بعض الروايات تندرج ضمن الواقعية الساذجة كما سماها فيقول: "أما النمط الثالث والأخير فقد جسده الكثير من النصوص الروائية التي ظهرت في ذات المرحلة، ولم تضف شيئا للكتابة الروائية الجزائرية ذات التعبير العربي سواء على صعيد أسئلة المتن الحكائي والأشكال الفنية أو المواقد الفكرية من قضايا الواقع الجزائري في السبعينات والناجمة عن التجربة الاشتراكية وشتى مظاهرها وانعكاساتها، وهي النصوص التي تراوحت بين الموضوع العاطفي وموضوع ثورة التحرير الجزائرية في صياغة تلونها المباشر، ورؤية للواقع لا تخلو من سطحية وتصور للرواية تسمه الصبيانية والالتباس وتمثل لها بروايات مالا تذروه الرياح 1972م لعبد العالي عرعار ونار ونور" 1975م لعبد المالك مرتاض "حب وأشواق 1978م لشريف شنائلية.... وغيرها.

ما ميز الرواية في هذه الفترة الشجاعة في الطرح والمغامرة الفنية وهذا مرده الحرية الكاتب الذي كان رافضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة كونه أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في وجود الحرية والانفتاح.

أما فترة الثمانينات فقد شهدت التجربة الروائية تحولات كبيرة اتخذت من خلالها الرواية الجزائرية اتجاها تجديديا حيث مثله العديد من الكتاب نذكر منهم (رواية واسيني الأعرج وقع الأحذية الخشنة 1981م وكذا وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر 1983م وغيرها)، كما ظهرت رواية زمن "النمرود" للحبيب السائح وغيرها من التجارب الروائية التي تنوعت، إذ أن التجريب يدرك مداه من النضج ومن ثم الإضافة ..... فهي تشكل تحولا نوعيا في مسيرة إبداعية الروائي وعلامة مميزة فيه، لما توفرت عليه من علامات دالة على ما توصل الكتاب إلى امتلاكه من عناصر وعي نقدي بشروط الرواية وأدواتها الجمالية في صياغة الرؤية والتعبير عن الموقف.

وفي فترة التسعينات ومع سيطرة الأزمة التي شهدتها الجزائر عقب أحداث أكتوبر 1988م على جميع المجالات، ومع تفشي ظاهرة الإرهاب وانتشار العنف والتطرف ظهر أدب التسعينات أو ما يعرف

بالأدب الاستعجالي أو أدب الأزمة فعالجت الرواية الجزائرية في هذه الفترة مختلف التحولات الطارئة على المجتمع من خلال نصوصها الروائية نذكر منها روايات واسيني الأعرج "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف"، "زمل المايا" 1993م "سيدة المقام 1996م"، فوضى الأشياء 1990م لرشيد بوجدرة، عواصف جزيرة الطيور 1998م للجيلالي خلاص والولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار وغيرها من الروايات.

وتعتبر هذه الفترة في تاريخ الجزائر من أعنف الفترات بعد الاستقلال وذلك لانتشار ظاهرة الإرهاب فهي نقطة فاصلة بالنسبة للروائيين الجزائريين حيث جعلتهم يقرؤون التاريخ بطريقة مغايرة مما دفعهم إلى تجاوز تلك البنية التي تكرس التسلط ونفي الذات والهوية، مقابل مصطلحات سياسية واقتصادية لتخفي اصحابها وراء شعارات، الأمر الذي جعلهم يتساءلون عن دور المتفق في الفعل التاريخي ومن هنا جاء السعي إلى النموذج الأمثل في الكتابة ويتفقون في تجاوز العالم (الثورة، الواقع، الإرهاب، إلى تشخيص اللغة تشخيصا رمزيا سعوا من خلاله إلى تجاوز القواعد التقليدية والكتابة النمطية وهي أساليب في التجريب تؤكد فراغ الرؤى لتؤسس للرواية جاءت النصوص الروائية بطابع إيديولوجي وتجلت الأزمة في اغتيال العقل من خلال استهداف صوت المثقف بالإضافة إلى جيل جديد من كتاب الرواية الشبان.

من خلال ما سبق حول واقع التجريب في الرواية العربية ندرك أنه كان نتيجة التطور الاجتماعي والتاريخي الذي شهدته البلاد العربية، بحيث نجد أن الروائيين العرب وجدوا ضالتهم بواسطة هذه التقنية الفنية التي تسعى إلى تفويض النمط والنموذج السعي وراء كتابة جديدة مفتوحة الأجناس الأدبية، لذا كان لكل روائي عربي تجربته التي تميزه عن غيره من على جميع المبدعين، لتحقق بذلك سمات فنية مشتركة وجامعة للرواية المغاربية المعاصرة.

**المراجع المعتمدة:**

1. إدريس بودیبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، ط1 2000م
2. الأمين عمراني، الرواية المغربية بين قيود التأثر ومغامرة التجريب، مطبعة الطوبريس، طنجة، ط1، 2003م
3. بوشوشة بن جمعة، التجريب وارتحالات السرد المغاربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1، 2003م
4. بوشوشة بن جمعة، مباحث في رواية المغرب العربي، منشورات سعيدان، سوسة، ط1، 1996م
5. الشريف جميلة، بنية الخطاب الروائي، دار نشر عالم الكتب الحديث، ط1، مجاد1، 2010م
6. محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى للطبع والنشر، ط1، دبي، أبو ظبي، 2011م
7. محمد منصور، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م